● **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولىٰ: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ والإِنْسِ.

الثانية: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ؛ لأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ.

المسائل:

● **الأولى: الحكمة من خلق الجن والإنس:** أخذها رحمه الله من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ فالحكمة هي عبادة الله لا أن يتمتعوا بالمآكل والمشارب والمناكح.

● **الثانية: أنَّ العبادة هي التوحيد:** أي: أنَّ العبادة مبنية على التوحيد؛ فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة، لا سيما أن بعض السَّلف فسَّروا قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: إلا ليوحدون.

وهٰذا مطابق تمامًا لما استنبطه المؤلف رحمه الله من أن العبادة هي التوحيد؛ فكل عبادة لا تبنى على التوحيد فهي باطلة، قال ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١).

وقوله: «لأن الخصومة فيه»: أي في التوحيد بين الرسول ﷺ وقريش؛ فقريش يعبدون الله يطوفون له ويصلون، ولٰكن على غير الإخلاص والوجه الشرعي؛ فهي كالعدم لعدم الإتيان بالتوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤].

---

(١) من حديث أبي هريرة، رواه: مسلم (كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، ٤/ ٢٢٨٩).

الثالثة: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ؛ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ؛ فَفِيهِ معنى قولِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[1].

الرابعة: الحِكْمَةُ في إِرسَالِ الرُّسُلِ.

الخامسة: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ.

السادسة: أَنَّ دِينَ الأنبِيَاءِ وَاحِدٌ.

● **وقوله في الثالثة: ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾.** لستم عابدين عبادتي؛ لأنَّ عبادتَكم مبنية على الشرك، فليست بعبادة الله تعالى.

● **الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل**: أخذها رحمه الله تعالى من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. فالحكمة هي: الدعوة إلى عبادة الله وحده، واجتناب عبادة الطاغوت.

● **الخامسة: أنَّ الرِّسالة عمَّت كل أمة**: أخذها من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦].

● **السادسة: أنَّ دين الأنبياء واحد**: أخذها من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وهٰذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]؛ لأنَّ الشرعة العملية تختلف باختلاف الأمم والأماكن والأزمنة، وأما أصل الدين؛ فواحد، قال تعالى: ﴿شَرَعَ

---

(١) سورة الكافرون: الآية ٣.

السابعة: المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ أَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ لاَ تَحْصُلُ إِلاَّ بِالكُفْرِ بالطَّاغُوتِ؛ فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ...﴾[1]. الآية.

لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

● **السابعة: المسألة الكبيرة أنَّ عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت.**

ودليله قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾، فمن عبد الله ولم يكفر بالطاغوت؛ فليس بموحّد، ولهٰذا جعل المؤلف رحمه الله هٰذه المسألة كبيرة؛ لأنَّ كثيرًا من المسلمين جهلها في زمانه وفي زمانننا الآن.

*** تنبيه**

لا يجوز إطلاق الشرك أو الكفر أو اللعن على من فعل شيئًا من ذٰلك؛ لأنَّ الحكم بذٰلك في هٰذه وغيرها له أسباب وله موانع؛ فلا نقول لمن أكل الرِّبا: ملعون؛ لأنَّه قد يوجد مانع يمنع من حلول اللعنة عليه؛ كالجهل مثلاً، أو الشبهة، وما أشبه ذٰلك، وكذا الشرك لا نطلقه على من فعل شركًا؛ فقد تكون الحجة ما قامت عليه بسبب تفريط علمائهم، وكذا نقول: من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه، ولٰكن لا نحكم بهٰذا لشخص معين. إذ إن الحكم المُعلَّق على الأوصاف لا ينطبق على الأشخاص إلا بتحقق شروط انطباقه وانتفاء موانعه.

فإذا رأينا شخصًا يتبرَّز في الطريق؛ فهل نقول له: لعنك الله؟

الجواب: لا، إلاَّ إذا أريد باللعن في قوله: «**اتقوا الملاعن**»[2] أن

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) من حديث معاذ، رواه: أبو داود (كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها، ١/ ٢٩)، وابن ماجه (كتاب الطهارة، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، =

الثامنة: أَنَّ الطَّاغُوتَ عامٌّ في كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

التاسعة: عِظَمُ شَأْنِ الثَّلَاثِ آياتِ المُحْكَمَاتِ في سورَةِ الأَنْعَامِ عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ، أولها النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ.

العاشرة: الآياتُ المُحْكَمَاتُ في سورَةِ الإِسْرَاءِ، وفِيها ثَماني عَشَرَ مَسألَةً، بَدَأَهَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ

الناس أنفسهم يلعنون هٰذا الشخص ويكرهونه، ويرونه مخلًّا بالأدب مؤذيًا للمسلمين؛ فهٰذا شيء آخر.

فدعاء القبر شرك، لٰكن لا يمكن أن نقول لشخص معين فعله: هٰذا مشرك؛ حتى نعرف قيام الحجة عليه، أو نقول: هٰذا مُشرك باعتبار ظاهر حاله.

● **الثامنة: أنَّ الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله**: فكل ما عُبدَ من دون الله؛ فهو طاغوت، وقد عرَّفه ابن القيم: بأنَّه كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مُطاع[1] فالمعبود كالصنم، والمتبوع كالعالِم، والمُطاع كالأمير.

● **التاسعة: عِظَم شأن الثلاث آيات المحكمات في سورة الأنعام**: المحكمات؛ أي: التي ليس فيها نسخ، أخذ ذٰلك من قول ابن مسعود رضي الله عنه.

● **العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء**: وهي قوله

= ١/ ١١٩)، والحاكم (١/ ١٦٧) ـ وقال: «صحيح»، ووافقه الذهبي ـ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٩٧).

(١) انظر: (ص٢٨) في تقييد عبارة ابن القيم رحمه الله.

فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[١] وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[٢]. ونبَّهَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِظَمِ شأْنِ هٰذِهِ المَسَائِلِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[٣].

الحادية عشرة: آيَةُ سُورَةِ النِّساءِ الَّتِي تُسَمَّى آيَةَ الحُقُوقِ العَشْرَةِ، بَدَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٤].

تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، وختمها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

وقد نبهنا الله ـ سبحانه ـ على عِظَم شأن هٰذه المسائل بقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾. فبدأها الله بالنَّهي عن الشرك بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، والقاعدُ ليس قائمًا؛ لأنه لا خيرَ لمن أشرك بالله، مذمومًا عند الله وعند أوليائه، مخذولاً لا ينتصر في الدنيا ولا في الآخرة. وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]؛ فهٰذه عقوبته عندما يُلقَى في النَّار كلٌّ يلومه ويَدْحَرُه فيندحر والعياذ بالله.

● **الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها بقوله تعالى:** ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: فأحقّ الحقوق

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٢.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٩.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٩.
(٤) سورة النساء: الآية ٣٦.

الثانية عشرة: التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.
الثالثة عشرة: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْنا.
الرابعة عشرة: مَعْرِفَةُ حَقِّ العِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.
الخامسة عشرة: أَنَّ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ لا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ.

حق الله، ولا تنفع الحقوق إلا به؛ فبُدِئَتْ هٰذه الحقوق به، ولهٰذا لما سأل النبي ﷺ حكيمُ بنُ حزام عمَّن كان يتصدق ويعتق ويصل رحمه في الجاهلية هل له من أجر؟ فقال النبي ﷺ: «**أسلمتَ على ما أسلفت من الخير**»[1]؛ فدلَّ على أنَّه إذا لم يسلم لم يكن له أجر، فصارت الحقوق كلُّها لا تنفع إلا بتحقيق حق الله.

● **الثانية عشرة: التنبيهُ على وصية رسول الله ﷺ عند موته:** وذٰلك من حديث ابن مسعود رضي الله عنه[2]، ولٰكنَّ النبي ﷺ لم يوصِ بها حقيقةً، بل أشار إلى أننا إذا تمسكنا بكتاب الله؛ فلنْ نضلَّ بعده، ومن أعظم ما جاء به كتابُ الله قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

● **الثالثة عشرة: معرفةُ حق الله علينا:** وذٰلك بأن نعبدَه ولا نُشركَ به شيئًا.

● **الرابعة عشرة: معرفةُ حق العباد عليه إذا أدَّوا حقَّه:** وذٰلك بأن لا يعذِّبَ من لا يشركُ به شيئًا، أمّا من أشرك؛ فإنَّه حقيقٌ أن يُعذَّب.

● **الخامسة عشرة: أنَّ هٰذه المسألة لا يعرفها أكثرُ الصحابة:** وذٰلك

---

(١) من حديث حكيم بن حزام، رواه: البخاري (كتاب الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، ١/ ٤٤٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، ١/ ١١٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٥).

السادسة عشرة: جَوَازُ كِتْمَانِ العِلْمِ للمَصْلَحَةِ.

السابعة عشرة: اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ المُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.

أن معاذًا أخبر بها تأثمًا، أي خروجًا من إثم الكِتْمان عند موته بعد أن مات كثيرٌ من الصحابة. وكأنه رضي الله عنه علم أن النبي ﷺ كان يخشى أن يفتتن الناس بها ويتكلوا ولم يرد ﷺ كتمها مطلقًا لأنه لو أراد ذلك لم يخبر بها معاذا ولا غيره.

● **السادسة عشرة: جوازُ كِتمان العلم للمصلحة:** هٰذه ليست على إطلاقها؛ إذ إنَّ كتمانَ العلم على سبيل الإطلاق لا يجوزُ لأنه ليس بمصلحةٍ، ولهٰذا أخبر النبي ﷺ معاذًا ولم يكتم ذٰلك مطلقًا، وأما كِتمان العلم في بعض الأحوال، أو عن بعض الأشخاص لا على سبيل الإطلاق؛ فجائزٌ للمصلحة؛ كما كتم النبي ﷺ ذٰلك عن بقية الصحابة خَشية أن يتَّكِلوا عليه، وقال لمعاذٍ: «**لا تُبشِّرهم فيتكلوا**»[(١)].

ونظير هٰذا الحديث قوله ﷺ لأبي هريرة: «**بَشِّر الناس أن من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنَّة**»[(٢)]. بل قد تقتضي المصلحةُ تركَ العمل؛ وإن كان فيه مصلحة لرجحان مصلحة الترك، كما همَّ النبي ﷺ أن يهدمَ الكعبة ويبنيها على قواعد إبراهيم، ولٰكن ترك ذٰلك خشية افتتان الناس؛ لأنهم حديثو عهدٍ بكفرٍ[(٣)].

● **السابعة عشرة: استحبابُ بشارة المسلم بما يَسرُّه:** لقوله: «**أفلا أبشِّر الناس؟**»، وهٰذه من أحسن الفوائد.

(١) سبق تخريجه (ص٤٨).

(٢) من حديث أبي هريرة، رواه: مسلم (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، ١/٥٩).

(٣) من حديث عائشة، رواه: البخاري (كتاب الحج، باب فضل مكة، ١/٤٨٧)، ومسلم (كتاب الحج، باب نقض الكعبة ٢/٩٦٩).

الثامنة عشرة: الخَوْفُ مِنْ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ.

● **الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله:** وذلك لقوله: «**لا تبشِّرهم فيتَّكلوا**»؛ لأنَّ الاتِّكال على رحمة الله يسبب مفسدة عظيمة هي الأمن من مكر الله.

وكذلك القنوطُ من رحمة الله يبعد الإنسان من التوبة ويسبب اليأس من رحمة الله، ولهذا قال الإمام أحمدُ: «ينبغي أن يكونَ سائرًا إلى الله بين الخوف والرجاء؛ فأيُّهما غلبَ هلك صاحبه»، فإذا غلب الرَّجاءُ أدَّى ذلك إلى الأمن من مكر الله، وإذا غلب الخوفُ أدَّى ذلك إلى القنوط من رحمة الله.

وقال بعضُ العلماء: إن كان مريضًا غَلَّب جانب الرَّجاء، وإن كان صحيحًا غَلَّب جانب الخوف.

وقال بعض العلماء: إذا نَظَرَ إلى رحمة الله وفضله غلب جانب الرَّجاء، وإذا نظر إلى فعله وعمله غَلَّب جانب الخوف لتحصل التوبة. ويستدلون بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ أي: خائفة أن لا يكونَ تقبّل منهم لتقصير أو قصور، وهذا القول جيد، وقيل: يغلب الرجاء عند فعلِ الطاعة ليُحسنَ الظنّ بالله، ويغلب جانب الخوف إذا همَّ بالمعصية لِئلاّ ينتهكَ حُرماتِ الله.

وفي قوله: «**أفلا أبشِّر الناس؟**»[1] دليلٌ على أن التبشير مطلوب فيما يَسُرُّ من أمر الدين والدنيا، ولذلك بَشَّرَت الملائكة إبراهيمَ، قال تعالى ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وهو إسحاق، والحليم إسماعيل، وبشَّر النبي ﷺ أهله بابنه إبراهيم، فقال: «**ولد لي الليلة ولد**

(١) سبق تخريجه (ص٤٨).

التاسعة عشرة: قَوْلُ المَسْؤولِ عَمَّا لا يَعْلَم: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

سميتُه باسم أبي إبراهيم»[1]؛ فيُؤخَذ منه أنَّه ينبغي للإنسان إدخال السرور على إخوانه المسلمين ما أمكن بالقول أو بالفعل؛ ليحصلَ له بذلك خيرٌ كثيرٌ وراحةٌ وطمأنينةُ قلب وانشراحُ صدر.

وعليه؛ فلا ينبغي أن يدخل السوء على المسلم، ولهذا يروى عن النبي ﷺ: **«لا يحدثني أحدٌ عن أحد بشيء؛ فإني أحبّ أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصَّدر»**[2]. وهذا الحديث فيه ضعفٌ، لكن معناه صحيح؛ لأنَّه إذا ذُكِرَ عندك رجلٌ بسوءٍ؛ فسيكونُ في قلبك عليه شيءٌ ولو أحسن معاملتك، لكن إذا كنتَ تعامله وأنت لا تعلمُ عن سيئاته، ولا محذورَ في أنْ تتعامل معه؛ كان هذا طيِّبًا، وربما يَقْبَلُ منك النصيحة أكثر، والنُّفوسُ يَنْفِرُ بعضُها من بعضٍ قبل الأجسام، وهذه مسائلُ دقيقةٌ تظهرُ للعاقل بالتَّأمُّل.

● **التاسعة عشرة: قولُ المسؤول عمَّا لا يعلم: الله ورسوله أعلم:** وذلك لإقرار النبي ﷺ معاذًا لمّا قالها، ولم ينكر النبي ﷺ على معاذٍ، حيث عطف رسول الله ﷺ على الله بالواو، وأنكر على من قال: «ما

---

(١) من حديث أنس رضي الله عنه، رواه: مسلم (كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، ٤/ ١٨٠٧).

(٢) من حديث ابن مسعود، رواه: أبو داود (كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، ٥/ ١٨٣) ـ وسكت عنه ـ، والترمذي (المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، رقم ٣٨٩٣) ـ وقال: «غريب من هذا الوجه» ـ، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٥).

وفي إسناده عندهم الوليد بن هشام أو ابن أبي هشام الكوفي، مستور؛ كما في «تقريب التهذيب» (٢/ ٣٣٦).

وزيد بن زائدة؛ قال ابن حجر في «التقريب» (١/ ٢٧٤): «مقبول»، وباقي رجاله ثقات.

وصححه أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تحقيقه لـ «المسند» (٣٧٥٩).

العشرون: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.

شاء الله وشئت»، وقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟! بل ما شاء الله وحده**»[١].

فيُقال: إنَّ الرسول ﷺ عنده من العلوم الشرعية ما ليس عند القائل، ولهٰذا لم ينكر الرسول ﷺ على معاذ. بخلاف العلوم الكونية القَدرية؛ فالرسول ﷺ ليس عنده عِلم منها.

فلو قيل: هل يَحْرُمُ صومُ العيدين؟

جاز أن نقول: الله ورسوله أعلم، ولهٰذا كان الصحابة إذا أشكلت عليهم المسائلُ ذهبوا إلى رسول الله ﷺ فيبيِّنها لهم، ولو قيل: هل يُتَوَقَّع نزول مطر في هٰذا الشهر؟ لم يجز أن نقول: الله ورسوله أعلم؛ لأنَّه من العلوم الكونية.

● **العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض:** وذٰلك أن النبي ﷺ خصَّ هٰذا العلمَ بمعاذٍ دون أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

فيجوز أن نُخَصِّص بعض الناس بالعلم دون بعض، حيث إنَّ بعض الناس لو أخبرته بشيء من العلم افْتَتَنَ، قال ابن مسعود: «إنَّك لن تحدث قومًا بحديث لا تبلغه عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة»[٢]، وقال علي:

(١) من حديث ابن عباس، رواه: أحمد؛ كما في «المسند» (١/ ٢١٤)، وابن ماجه (كتاب الكفارات، باب النهي أن يُقال: ما شاء الله وشئت، ١/ ٦٨٤).
وقال البوصيري في «الزوائد»: «وفي إسناده الأجلح بن عبد الله، مختلف فيه، ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد، ووثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان والعجلي، وباقي الإسناد ثقات».
ورواه أيضًا: الطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٥)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢١٧).

(٢) رواه: مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١١).

الحادية والعشرون: تَواضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الحِمَارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ.

الثانية والعشرون: جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ.

الثالثة والعشرون: عِظَمُ شأْنِ هٰذِهِ المَسْأَلَةِ.

الرابعة والعشرون: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ.

«حدِّثوا الناس بما يعرفون»[1]. فَيُحَدَّثُ كلّ أحدٍ حسبَ مقدرته وفهْمِهِ وعقله.

● **الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه:** النبي ﷺ أشرف الخلق جاهًا، ومع ذٰلك هو أشدّ الناس تواضعًا، حيث ركب الحمارَ وأَرْدف عليه، وهٰذا في غاية التواضع؛ إذ إنَّ عادة الكُبَراء عدم الإرداف، وركب ﷺ الحمار، ولو شاء لركب ما أراد، ولا منقصة في ذلك؛ إذ إنَّ مَنْ تواضعَ لله ـ عز وجل ـ رفعه.

● **الثانية والعشرون: جوازُ الإرداف على الدابة:** وذٰلك أن النبي ﷺ أردف معاذًا، لٰكن يُشْتَرَطُ للإرداف أن لا يشق على الدابة، فإن شق؛ لم يَجُزْ ذٰلك.

● **الثالثة والعشرون: عِظَمُ شأن هٰذه المسألة:** حيث أخبر النبي ﷺ معاذًا، وجعلها من الأمور التي يبشر بها.

● **الرابعة والعشرون: فضيلةُ معاذ رضي الله عنه:** وذٰلك أن النبي ﷺ خَصَّه بهٰذا العلم، وأردفه معه على الحمار.

* * *

---

(١) رواه: البخاري (كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، ١/ ٦٢).

بَابٌ
فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

.....

سبق أن ذَكَرَ المؤلفُ كتابَ التوحيد؛ أي: وجوب التوحيد، وأنه لا بدَّ منه، وأن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]: أن العبادة لا تصحُّ إلا بالتوحيد. وهنا ذكر المؤلف فضلَ التوحيد، ولا يلزم مِن ثبوتِ الفضل للشيء أن يكون غيرَ واجب، بل الفضل من نتائجه وآثاره. ومن ذٰلك صلاةُ الجماعة ثبت فضلُها بقوله ﷺ: «**صلاةُ الجماعة أفضلُ من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة**». متفق عليه[1]. ولا يلزم من ثبوت الفضل فيها أن تكونَ غيرَ واجبة؛ إذ إنَّ التَّوحيد أوجبُ الواجبات، ولا تُقْبَل الأعمال إلا به، ولا يَتَقرَّب العبدُ إلى ربِّه إلا به، ومع ذٰلك؛ ففيه فضل.

قوله: «وما يُكفِّر من الذنوب»: معطوفٌ على «فضل»؛ فيكون المعنى: باب فضل التوحيد، وباب ما يكفر من الذنوب، وعلى هٰذا؛ فالعائد محذوف والتقدير ما يكفره من الذنوب، وعقد هٰذا الباب لأمرين:

الأول: بيان فضل التوحيد.

الثاني: بيان ما يكفره من الذنوب؛ لأن من آثار فضل التوحيد تكفيرَ الذنوب.

---

(١) من حديث ابن عمر، رواه: البخاري في (كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، ١/ ٢١٦)، ومسلم (كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، ١/ ٤٥٠).

وقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[(١)]. الآية.

فمن فوائد التوحيد:

١ ـ أنَّه أكبرُ دعامة للرغبة في الطاعة؛ لأن المُوحِّد يعمل لله ـ سبحانه وتعالى ـ، وعليه؛ فهو يعلم سرًّا وعلانية، أما غيرُ الموحد؛ كالمرائي مثلاً؛ فإنه يتصدَّق ويُصلي، ويذكر الله إذا كان عنده مَنْ يراه فقط، ولهٰذا قال بعض السلف: «إني لأودّ أن أتقرَّبَ إلى الله بطاعة لا يعلمها إلا هو».

٢ ـ أن الموحدين لهم الأمنُ وهم مهتدون؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

* * *

قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾: أي: يَخلطوا.

قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾: الظلم هنا ما يقابل الإيمان، وهو الشِّرك، ولما نزلت هٰذه الآية شقَّ ذٰلك على الصحابة، وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسَه؟ فقال النبي ﷺ: «**ليس الأمرُ كما تظنون، إنَّما المراد به الشرك، ألم تسمعوا إلى قول الرجل الصالح ـ يعني لقمان ـ:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[(٢)].

* **والظلم أنواع:**

١ ـ أظلم الظلم، وهو الشِّرك في حقّ الله.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٢) من حديث ابن مسعود، رواه: البخاري: (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: **﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾**، ٢/ ٤٨٤).

.....

٢ ـ ظلم الإنسان نفسه؛ فلا يعطيها حقها، مثل أن يصوم فلا يفطر، ويقوم فلا ينام.

٣ ـ ظلم الإنسان غيره، مثل أن يتعدَّى على شخص بالضرب، أو القتل، أو أخذ مال، أو ما أشبه ذٰلك.

وإذا انتفى الظلمُ؛ حصل الأمن، لٰكن هل هو أمنٌ كامل؟

الجواب: إنه إن كان الإيمان كاملًا لم يخالطه معصيةٌ؛ فالأمنُ أمنٌ مطلق، أي كامل، وإذا كان الإيمانُ مطلقَ إيمانٍ ـ غير كامل ـ؛ فله مطلق الأمن؛ أي: أمن ناقص. مثال ذٰلك: مرتكبُ الكبيرة، آمنٌ من الخلود في النار، وغير آمن من العذاب، بل هو تحت المشيئة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]. وهٰذه الآية قالها الله تعالى حكمًا بين إبراهيم وقومه حين قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١ ـ ٨٢]؛ فقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ...﴾ [الأنعام: ٨٢] الآية، على أنه قد يقول قائلٌ: إنها من كلام إبراهيم ليبين لقومه، ولهٰذا قال بعدها: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقوله: ﴿وَٱلْأَمْنُ﴾: أل فيها للجنس، ولهٰذا فَسَّرْنا الأمنَ بأنه إمَّا أمنٌ مطلق، وإمّا مطلقُ أمن حسب الظلم الذي تلبس به.

وقوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: أي: في الدنيا إلى شرع الله بالعلم والعمل؛ فالاهتداء بالعلم هداية إرشاد. والاهتداء بالعمل: هداية توفيق، وهم مهتدون في الآخرة إلى الجنة. كما قال الله تعالى في أصحاب

عَنْ عُبَادَة بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** .....

الجحيم: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]. فهذه هداية الآخرة، وهي للذين ظلموا إلى صراط الجحيم؛ فيكون مقابلها أن الذين آمنوا ولم يظلموا يهدون إلى صراط النعيم.

وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾: إن الأمن في الآخرة، والهداية في الدنيا، والصواب أنها عامّةٌ بالنسبة للأمن والهداية في الدنيا والآخرة.

* مناسبة الآية للترجمة:

أن الله أثبتَ الأمنَ لمن لم يشركْ، والذي لم يشركْ يكون موحِّدًا؛ فدلَّ على أن مِنْ فضائل التوحيد استقرار الأمن.

* * *

قوله: «من شهد أن لا إله إلا الله»: الشهادة لا تكون إلا عن علم سابق، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وهٰذا العلم قد يكون مُكْتَسَبًا وقد يكون غريزيًّا.

فالعلم بأنه لا إله إلا الله غريزيٌّ، قال ﷺ: «**كل مولودٍ يُولد على الفطرة**»(١).

وقد يكون مُكتَسبًا، وذٰلك بتدبُّر آيات الله، والتَّفكُّر فيها.

---

(١) من حديث أبي هريرة، رواه: البخاري في (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ١/٤١٦)، ومسلم (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ٤/٢٠٤٧).

.....

ولا بدَّ أن يوجدَ العلم بلا إله إلا الله ثم الشهادة بها.

وقوله: ﴿أن﴾: مخففة من الثقيلة، والنُّطق بأن مُشَدَّدة خطأٌ؛ لأنَّ المشددة لا يمكن حذف اسمها، والمخفَّفة يمكن حذفه.

وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾: أي: لا مألوه، وليس بمعنى لا آله، والمألوه: هو المعبود محبةً وتعظيمًا، تحبه وتعظِّمه لما تعلم من صفاته العظيمة وأفعاله الجليلة.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي: لا مألوه إلا الله، ولهذا حكي عن قريش قولُهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

أما قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [هود: ١٠١]؛ فهذا التألُّه باطل؛ لأنَّه بغير حق، فهو منفيٌّ شرعًا، وإذا انتفى شرعًا؛ فهو كالمنتفي وقوعًا فلا قرار له، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

وبهذا يحصل الجمعُ بين قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمْ﴾ [هود: ١٠١]، وقوله تعالى حكايةً عن قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[ص: ٥]، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]؛ فهذه الآلهة مجرَّد أسماء لا معاني لها ولا حقيقة؛ إذ هي باطلة شرعًا، لا تستحق أن تُسمَّى آلهة؛ لأنَّها لا تنفع ولا تضر، ولا تخلق ولا ترزق؛ كما قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

*** التوحيد عند المتكلمين:**

يقولون: إنَّ معنى إله: آله، والآله: القادر على الاختراع؛ فيكون معنى لا إله إلا الله: لا قادر على الاختراع إلاَّ الله.

.....

والتوحيد عندهم: أن توحد الله، فتقول: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وواحد في صفاته لا شبيه له، ولو كان هٰذا معنى لا إلٰه إلا الله؛ لما أنكرت قريش على النبي ﷺ دعوته ولآمنت به وصدَّقت؛ لأنَّ قريشًا تقول: لا خالق إلا الله، ولا خالق أبلغ من كلمة لا قادر؛ لأنَّ القادر قد يفعل وقد لا يفعل، أمَّا الخالق؛ فقد فعل وحقَّق بقدرة منه، فصار فهم المشركين خيرًا من فهم هٰؤلاء المتكلِّمين والمنتسبين للإسلام؛ فالتوحيد الذي جاءت به الرُّسل في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩]؛ أي: من إلٰه حقيقي يستحق أن يُعبد، وهو الله.

ومن المُؤسف أنَّه يوجد كثير من الكُتَّاب الآن الذين يكتبون في هٰذه الأبواب تجدهم عندما يتكلَّمون على التوحيد لا يقرِّرون أكثر من توحيد الرُّبوبية، وهٰذا غلط ونقص عظيم، ويجب أن نغرِسَ في قلوب المسلمين توحيد الألوهيَّة أكثر من توحيد الرُّبوبيَّة؛ لأنَّ توحيد الربوبيَّة لم يُنكره أحد إنكارًا حقيقيًّا، فكوننا لا نقرر إلاّ هٰذا الأمر الفطري المعلوم بالعقل، ونسكت عن الأمر الذي يغلب فيه الهوى هو نقص عظيم؛ فعبادة غير الله هي التي يسيطر فيها هوى الإنسان على نفسه حتى يصرفه عن عبادة الله وحده، فيعبد الأولياء ويعبد هواه، حتى جعل النبي ﷺ الذي همّه الدرهم والدينار ونحوهما عابدًا[1]، وقال الله ـ عز وجل ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فالمعاصي من حيث المعنى العام أو الجنس العام يمكن أن نعتبرها من الشرك.

(١) سبق تخريجه (ص٣٥).

.....

وأما بالمعنى الأخص؛ فتنقسم إلى أنواع:

١ ـ شرك أكبر.

٢ ـ شرك أصغر.

٣ ـ معصية كبيرة.

٤ ـ معصية صغيرة.

وهٰذه المعاصي منها ما يَتعلَّق بحقِّ الله، ومنها ما يتعلَّق بحقِّ الإنسان نفسه، ومنها ما يتعلق بحق الخلق. وتحقيق لا إله إلا الله أمر في غاية الصعوبة، ولهٰذا قال بعض السلف: «كل معصية؛ فهي نوع من الشِّرك».

وقال بعض السَّلف: «ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص»، ولا يعرف هٰذا إلا المؤمن، أما غير المؤمن؛ فلا يُجاهد نفسه على الإخلاص، ولهٰذا قِيلَ لابن عباس: «إنَّ اليهود يقولون: نحن لا نوسوسُ في الصلاة. قال: فما يصنع الشيطان بقلبٍ خَرِب؟!»؛ فالشيطان لا يأتي ليخرِّب المهدوم، ولٰكن يأتي ليخرِّب المعمور، ولهٰذا لما شُكي إلى النبي ﷺ أن الرجل يجد في نفسه مايستعظم أن يتكلَّم به؛ قال: «**وجدتم ذٰلك؟**». قالوا: نعم. قال: «**ذاك صريح الإيمان**»[1]؛ أي: أنَّ ذاك هو العلامة البيّنة على أنَّ إيمانكم صريح؛ لأنَّه ورد عليه، ولا يرد إلا على قلب صحيح خالص.

قوله: «**من شهد أن لا إله ألا الله**»: من: شرطية، وجواب الشرط: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». والشهادة: هي الاعتراف

(١) من حديث أبي هريرة، رواه: مسلم (كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان، ١/ ١١٩).

وحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، .....

باللسان، والاعتقاد بالقلب، والتصديق بالجوارح، ولهٰذا لما قال المنافقون للرسول ﷺ: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، وهٰذه جملة مؤكَّدة بثلاث مؤكدات: الشهادة، وإن، واللام، كذبهم الله بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]؛ فلم ينفعهم هٰذا الإقرار باللسان لأنَّه خالٍ من الاعتقاد بالقلب، وخالٍ من التَّصديق بالعمل، فلم ينفع؛ فلا تتحقق الشهادة إلا بعقيدة في القلب، واعتراف باللسان، وتصديق بالعمل.

وقوله: «لا إله إلا الله»: أي: لا معبود على وجه يستحق أن يُعبد إلاَّ الله، وهٰذه الأصنام التي تُعبد لا تستحق العبادة؛ لأنَّه ليس فيها من خصائص الألوهية شيء.

قوله: «وحده لا شريك له»: وحده: توكيد للإثبات. لا شريك له: توكيد للنفي في كل ما يختصّ به من الرّبوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصفات.

ولهٰذا كان النبي ﷺ وغيره من المؤمنين يلجؤون إلى الله تعالى عند الشدائد؛ فقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وعنده أصحابه، وقد علَّق سيفه على شجرة فاخترطه الأعرابي، وقال: من يمنعك مني؟ قال: «**يمنعني الله**»[1]، ولم يقل أصحابي، وهٰذا هو تحقيق توحيد الرُّبوبيَّة؛ لأنَّ الله هو الذي يملك النَّفع، والضُّرَّ، والخلق، والتدبير، والتَّصرف في المُلك؛ إذ لا شريك له فيما يختصّ به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

(١) من حديث جابر، رواه: البخاري (كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر، ٢/ ٣٣٥)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، ١/ ٥٧٦).

وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، .....

وقولنا فيما يختصّ به حتى نسلم من شُبُهات كثيرة، منها شبهات النافين للصِّفات؛ لأنَّ النَّافين للصفات زعموا أنَّ إثبات الصفات إشراك بالله ـ عز وجل ـ، حيث قالوا: يلزم من ذلك التَّمثيل، لٰكننا نقول: للخالق صفات تختصُّ به، وللمخلوق صفات تختص به.

قوله: «**وأنَّ محمدًا عبده ورسوله**»: محمد: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، القرشي، الهاشمي، خاتم النبيين.

وقوله: «**عبده**»؛ أي: ليس شريكًا مع الله.

وقوله: «**ورسوله**»؛ أي: المبعوث بما أوحي إليه؛ فليس كاذبًا على الله. فالرسول ﷺ عبدٌ مربوب، جميع خصائص البشريَّة تلحقه ما عدا شيئًا واحدًا، وهو ما يعود إلى أسافل الأخلاق؛ فهو معصوم منه، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ۝٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١ ـ ٢٢]. فهو بشرٌ مثلنا؛ إلا أنه يُوحى إليه، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [فصلت: ٦].

ومن قال: إنَّ الرسول ﷺ ليس له ظل، أو أن نوره يطفئ ظله إذا مشى في الشمس؛ فكله كذب باطل، ولهٰذا قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت أمدّ رجلي بين يديه، وتعتذر بأن البيوت ليس فيها مصابيح»[1]، فلو كان النبي ﷺ له نور؛ لم تعتذر رضي الله عنها، ولٰكنه الغلو الذي أفسد الدين والدنيا، والعياذ بالله. ومن الغلوّ قول البوصيري في «البردة» المشهورة:

(١) أخرجه البخاري (٥١٣) ومسلم (٥١٢).